سلسلة
درة الواعظين
الرابع
من صحيح حكايات وقصص الصالحين

مكائد الشيطان ومواعظ العلماء

تأليف / مجدى فتحى السيد

دار الصحابة للتراث بطنطا

سلسلة

درة الواعظين

من صحيح حكايات وقصص الصالحين

مكائد الشيطان ومواعظ العلماء

مجدي فتحي السيد

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

دار الصحابة للتراث بطنطا

كتاب قد حوى دررًا بعين الحسن ملحوظة

لهذا قلت تنبيهًا

للنشر ـ والتحقيق ـ والتوزيع

المراسلات:

طنطا شارع المديرية ـ أمام محطة بنزين التعاون

ت: ٣٣١٥٨٧ ـ ص. ب: ٤٧٧

دار الصحابة للتراث بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيطان يتحدث عن مصائده

قال وهب بن منبه رحمه الله:

كان رجلٌ عابدٌ من السياح أراده الشيطان من قِبلِ الشهوة، والرغبة، والغضب، فلم يستطع له شيئاً، فتمثل له بحية وهو يصلى فالتوت على قدمه وجسده، ثم أطلع رأسه عند رأسه فلم يلتفت من صلاته، ولم يستأخر منها.

فلما أراد أن يسجد التوت فى موضع سجوده، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه، فوضع رأسه فجعل يفركه حتى استمكن من الأرض لسجدته.

فقال له الشيطان: إنى أنا صاحبك الذى كنت أخوفك، فأتيتك من قبل الشهوة، والرغبة، والغضب، وأنا الذى كنتُ أتمثل لك بالسباع والحية، فلم أستطع بك، وقد بدالى أن أصادقك، ولا أريد ضلالتك بعد اليوم.

قال: سل عما شئت فأخبرك؟

قال: وما عسيت أن أسألك عنه؟

قال: لا تسألنى عن مالك ما فعل بعدك؟! قال: لو أردت مالى لم أفارقه.

قال: فلا تسألنى عن أهلك مَنْ مات منهم بعدك؟! قال: أنا مت قبلهم.

قال: فلا تسألنى عما أضل به بنى آدم؟ قال: بلى، فأخبرنى ما أوثق

ما فى نفسك أن تُضلهم به؟

قال: ثلاثة أخلاق مَنْ لم يستطع بشىءٍ غلبنا، الشح، والحدة، والسكر.

فإن الرجل إن كان شحيحاً قلّلنا ماله فى عينه، ورغبناه فى أموال الناس، وإن كان حديداً تداورناه بعيننا كما يتداور الصبيان الأُكرة بينهم.

ولو كان يحيى الموتى بدعوته لم نيأس منه، فإن ما يبنى يهدمه لنا بكلمة.

وإذا سكر اقتدناه إلى كل سوء، كما يقتاد من أخذ العنز بأذنها حيث شاء(١).

(١) انظر: الزهد (١٤٧٢) لابن المبارك.
الحلية (٤/ ٥٢).

مكائد الشيطان مع كليم الرحمن موسى ﷺ

يقول عبد الرحمن بن زياد رحمه الله:

بينما موسى ﷺ جالسٌ فى بعض مجالسه إذ أقبل إبليس، وعليه برنسٌ له؛ يتلون فيه ألواناً.

فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال له: السلام عليك يا موسى. قال له موسى: من أنت؟ قال: إبليس. قال: فلا حياك الله، ما جاء بك؟

قال: جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله ومكانتك منه.

قال: ما الذى رأيتُ عليك؟

قال: به أختطف قلوب بنى آدم.

قال: فلماذا إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه؟

قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله، ونسى ذنوبه، وأحذرك ثلاثاً: لاتخلُ بامرأةٍ لاتحل لك، فإنه ما خلا رجلٌ بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها، ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به، فإنه ما عاهد الله أحدٌ عهداً إلا وكنت صاحبه حتى أحول بينه وبين الوفاء به.

ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها، فإنه ما أخرج رجلٌ صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء بها.

ثم ولى وهو يقول: يا ويله ثلاثاً، علم موسى ما يحذر به بنى آدم(١).

---

(١) انظر: مكائد الشيطان (٤٧) لابن أبى الدنيا، آكام المرجان (ص/ ٢٤٦) الشبلى، تلبيس إبليس (ص/ ٣٠ ـ ٣١) لابن الجوزى، لقط المرجان (ص/ ١٩٨) السيوطى.

مكائد الشيطان مع نبى الله يحيى بن زكريا

قال وهيب بن الورد رحمه الله:

تبدى إبليس ليحيى بن زكريا ـ عليهما الصلاة والسلام ـ فقال: إنى أريد أن أنصحك، قال: كذبت، أنت لا تنصحنى، ولكن أخبرنى عن بنى آدم؟

قال: هم عندنا على ثلاثة أصنافٍ: أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا، نقبل عليه حتى نفتنه، ونستكن منه، ثم يتفرغ للاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيءٍ أدركناه منه، ثم نعود له فيعود، فلا نحن نيأس منه، ولا نحن ندرك منه حاجتنا، فنحن من ذلك فى عناءٍ.

وأما الصنف الثانى فهم فى أيدينا مثل الكرة فى أيدى صبيانكم، نتلقفهم كيف شئنا، قد كفونا أنفسهم.

وأما الصنف الآخر: فهم مثلك معصومون، لا نقدر منهم على شيءٍ.

قال يحيى عند ذلك: هل قدرت منى على شيءٍ؟

قال: لا إلا مرة واحدة، فإنك قدمت طعاماً تأكله، فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد، فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة، كما كنت تقوم إليها.

فقال له يحيى: لا جرم لا شبعتُ من طعامٍ أبداً.

قال له إبليس: لا جرم لا نصحتُ نبياً بعدك[1].

---

(١) انظر: مكائد الشيطان (٨٢)، لقط المرجان (ص/ ٢٠١)، آكام المرجان (ص/ ٢٤٩) الإحياء (٣/ ٣٨).

مكائد الشيطان مع خاتم الأنبياء

يروى أبو الدرداء رضى الله عنه فيقول: قال رسول الله ﷺ:

«إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نارٍ ليجعله فى وجهى، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مراتٍ فلم يستأخر، ثم قلت:

ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردتُ أن آخذه، والله لولا دعوة أخى سليمان لأصبح موثقاً، يلعب به ولدان أهل المدينة»[١].

ويقول أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ:

«إن الشيطان عرض لى فشد علىَّ ليقطع علىَّ الصلاة، فأمكننى الله منه فصرعته، ولقد هممتُ أن أربطه إلى ساريةٍ حتى تصبحوا، فتنظروا إليه، فذكرتُ قول سليمان[٢]:

﴿رب اغفر لى، وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحدٍ من بعدى﴾[٣].

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه مسلم (٥٤٢)، والنسائى (٣/ ١٣)، وأبو عوانة (٢/ ١٤٤)، وابن خزيمة (٨٩١)، والبيهقى (٧/ ٩٨) فى دلائل النبوة.

(٢) حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخارى (١/ ٩١)، ومسلم (٥٤١)، وأبو عوانة (٢/ ١٤٣)، والدارقطنى (١/ ٣٦٥) فى سننه.

(٣) سورة ص: ٣٥.

مكائد الشيطان مع العُبَّاد

يروى الحسن البصرى رحمه الله فيقول:

كانت شجرة تعبد من دون الله تعالى، فجاء إنسانٌ إليها فقال: لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضباً لله، فلقيه الشيطان فى صورة إنسان، فقال:

ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تُعبد من دون الله.

قال الشيطان: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك مَنْ عبدها؟

قال: لأقطعنها. فقال له الشيطان: هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها، ولك ديناران كل يومٍ إذا أصبحت عند وسادتك.

قال: فمن لى بذلك؟

قال: أنا لك.

فرجع، فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح فلم يجد شيئاً، فقام غضباً ليقطعها، فتمثل له الشيطان فى صورته، فقال: ما تريد؟

قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله.

قال: كذبت، مالك إلى ذلك من سبيلٍ، فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله.

قال: أتدرى من أنا؟ أنا الشيطان، جئتَ أول مرة غضباً لله فلم يكن لى سبيل فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئتَ غضباً للدينارين سُلطت عليك[1].

وفى روايةٍ أخرى لهذا الخبر:

(١) انظر: مكائد الشيطان (٦٠) لابن أبى الدنيا، الحلية (٢/ ٢٧٣) لأبى نعيم، تلبيس إبليس (ص/ ٣٣) لابن الجوزى.

أن عابداً كان يعبد الله دهراً طويلاً فجاءه قومٌ فقالوا: إن ههنا قوماً يعبدون شجرة من دون الله تعالى، فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها، فاستقبله إبليسُ فى صورة شيخٍ، فقال:

أين تريد رحمك الله؟

قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة.

قال: وما أنت وذاك! تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك؟!

فقال: إن هذا من عبادتى.

قال: فإنى لا أتركك أن تقطعها، فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على صدره، فقال له إبليس: أطلقنى حتى أكلمك، فقام عنه، فقال له إبليس:

يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك!

وما تعبدها أنت وما عليك من غيركَ، ولله تعالى أنبياء فى أقاليم الأرض، ولو شاء لبعثهم إلى أهلها، وأمرهم بقطعها!

فقال العابد: لابُدّ لى من قطعها، فنابذه للقتال فغلبه العابد، وصرعه وقعد على صدره فعجز إبليس، فقال له: هل لك فى أمرٍ فصلٍ بينى وبينك، وهو خيرٌ لك وأنفع؟

قال: وما هو؟

قال: أطلقنى حتى أقول لك، فأطلقه، فقال إبليس: أنت رجلٌ فقيرٌ لا شىء لك، إنما أنت كَلٌّ على الناس يعولونك، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك، وتواسى جيرانك، وتشبع وتستغنى عن الناس؟!

قال: نعم. قال: فارجع عن هذا الأمر ولك علىَّ أن أجعل عند رأسك فى كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك

وعيالك، وتصدقت على إخوانك، فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التى يغرس مكانها، ولا يضرهم قطعها شيئاً، ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها.

فتفكر العابد فيما قال وقال: صدق الشيخ، لستُ بنبيٍّ فيلزمنى قطع هذه الشجرة، ولا أمرنى الله أن أقطعها فأكون عاصياً بتركها، وما ذكره أكثر منفعة، فعاهده على الوفاء بذلك، وحلف له، فرجع العابد إلى متعبده فبات.

فلما أصبح رأى الدينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد، ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئاً.

فغضب وأخذ فأسه على عاتقه، فاستقبله إبليس فى صورة شيخٍ فقال له:

إلى أين؟ قال: أقطع تلك الشجرة.

قال: كذبت، والله ما أنت بقادرٍ على ذلك، ولا سبيل لك إليها.

قال: فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة. فقال: هيهات، فأخذه إبليس وصرعه، فإذا هو كالعصفور بين رجليه، وقعد إبليس على صدره، وقال:

لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك؟

فنظر العابد فإذا لا طاقة له به، قال: يا هذا غلبتنى فخل عنى، وأخبرنى كيف غلبتك أولاً، وغلبتنى الآن؟!

فقال الشيطان: لأنك غضبت أول مرة لله، وكانت نيتك الآخرة فسخرنى الله لك، وهذه المرة غضبتَ لنفسك وللدنيا فصرعتك(١).

(١) انظر: قوت القلوب (٢/ ١٦٢) للمكى. والإحياء (٤/ ٣٦٥) للغزالى. إتحاف السادة (١٣/ ٨٥) للزبيدى.

شدةُ العالم على الشيطان

عن بعض البصريين قال:

كان عالم وعابد متواخيين فى الله، فقال الشيطان لإبليس: إنا لا نقدر على أن نفرق بينهما.

فقال إبليس لعنه الله: أنا لهما.

فجلس بطريق العابد إذ أقبل العابد حتى إذا دنا من إبليس، قام إليه فى مثال شيخٍ كبيرٍ بين عينيه أثر السجود.

فقال للعابد: إنه قد حاك فى صدرى شىءٌ أحببت أن أسألك عنه.

فقال له العابد: سل، فإن يكن عندى علمٌ، أخبرتك عنه.

فقال له إبليس: هل يستطيع الله ـ عز وجل ـ أن يجعل السموات والأرض، والجبال، والشجر، والماء فى بيضةٍ من غير أن يزيد فى البيضة شيئاً، ومن غير أن ينقص من هذا شيئاً؟!

فقال له العابد: من غير أن ينقص من هذا شيئاً، ومن غير أن يزيد فى هذا شيئاً؟!

كالمتعجب، فوقف العابد، فقال له إبليس: امضه، ثم التفت إلى أصحابه فقال:

أما هذا فقد أهلكته جعلته شاكاً فى الله تعالى.

ثم جلس على طريق العالم فإذا هو مقبلٌ حتى إذا دنا من إبليس قام إليه إبليس، فقال: يا هذا، إنه قد حاك فى صدرى شىء أحببت أن أسألك عنه.

فقال العالم: سل، فإن يكن عندى علمٌ أخبرتك.

فقال له إبليس: هل يستطيع الله ـ عز وجل ـ أن يجعل السموات، والأرض، والجبال، والشجر، والماء فى بيضة من غير أن يزيد فى البيضة شيئاً، ومن غير أن ينقص من هذا شيئاً؟

فقال له العالم: نعم. قال: فرد عليه إبليس كالمنكر: من غير أن يزيد فى هذا شيئاً، ومن غير أن ينقص من هذا شيئاً؟

فقال له العالم: نعم، بانتهار، وقال: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾**(١).

فقال إبليس لأصحابه: من قِبَلِ هذا أُتيتم(٢).

(١) سورة يس: ٨٢.

(٢) انظر: مكائد الشيطان (٣٠) لابن أبى الدنيا. مصائب الإنسان (ص/ ٧٤، ٧٥) لابن مفلح.

من أسرار آية الكرسى

قال يحيى بن معين رحمه الله:

كنتُ إذا دخلت منزلى بالليل، قرأتُ آية الكرسى على دارى وعيالى خمس مرات، فبينا أنا أقرأ، إذا شىءٌ يكلمنى:

كم تقرأ هذا؟! كأن ليس إنسان يُحسن يقرأ غيرك؟!

فقلت: أرى هذا يسوؤك، والله لأزيدنك. فصرتُ أقرؤها فى الليلة خمسين، ستين مرة(١).

وخرج زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ إلى حائط له، فسمع فيه جلبة، فقال: ما هذا؟ قال: رجلٌ من الجن، أصابتنا السنة، فأردنا أن نصيب من ثماركم أفتطيبونه؟! قال: نعم.

ثم خرج الليلة الثانية، فسمع فيه أيضًا جلبة، فقال: ما هذا؟ قال: رجلٌ من الجن أصابتنا السنة، فأردنا أن نصيب من ثماركم، أفتطيبونه؟ قال: نعم. فقال له زيد بن ثابت: ألا تخبرنى ما الذى يعيذنا منكم؟ قال: آية الكرسى(٢).

ويروى الوليد بن مسلم رحمه الله: أن رجلاً أتى نخلة فسمع فيها حركة، فتكلم فلم يجب، فقرأ آية الكرسى، فنزل إليه، فقال:

إن لنا مريضًا فبم تداويه؟

---

(١) انظر: السير (١١/ ٨٧)

(٢) انظر: مكائد الشيطان (١٨) لابن أبى الدنيا. الدر المنثور (١/ ٣٢٧) للسيوطى. لقط المرجان (ص/ ١٠٢ ـ ١٠٣) له أيضًا.

قال: بالذى أنزلتنى به من الشجرة[١].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه ـ قال: خرج رجلٌ من الإنس فلقيه رجلٌ من الجن، فقال: هل لك أن تصارعنى؟ فإن صرعتنى علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان، فصارعه فصرعه، فقال:

إنى أراك ضئيلاً ـ كأن ذراعيك ذراعا كلب، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم؟!

فقال: إنى بينهم لضليع، فعاودنى فصارعه فصرعه الإنسى، فقال: تقرأ آية الكرسى، فإنه لا يقرأها أحدٌ إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان، وله خيخ كخيخ الحمار، فقيل لابن مسعود: أهو عمر؟

فقال: ومَنْ عسى أن يكون إلا عمر[٢].

الخيخ: الضراط.

(١) انظر: مكائد الشيطان (١٦) آكام المرجان (ص/ ١١٧) للشبلى، لقط المرجان (ص/ ١٠٣)
(٢) انظر: مصنف ابن أبى شيبة (٧/ ٤٧٩)، دلائل النبوة (٧/ ١٢٣) للبيهقى، مكائد الشيطان (٦٣) «الغريب» لأبى عبيد.

عالمٌ لا يخشى لومة لائم

روى محمد بن منصور فقال: كنا مع المأمون فى طريق الشام، فأمر فنودى بتحليل المتعة، فقال لنا يحيى بن أكثم: بَكِّرَا غدًا إليه، فإن رأيتما للقول وجهًا فقولا، وإلا فاسكتا إلى أن أدخل.

قال: فدخلنا إليه وهو يستاك ويقول ـ وهو مغتاظ ـ: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ، وعلى عهد أبى بكر، وأنا أنهى عنهما؟!

ومن أنت يا أحول حتى تنهى عما فعله رسول الله ﷺ وأبو بكر؟!

فأومأت إلى محمد بن منصور أن أمسك، رجلٌ يقول فى عمر بن الخطاب ما يقول، نكلمه نحن؟!

فأمسكنا وجاء يحيى فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: مالى أراك متغيرًا؟

قال: هو غمٌ يا أمير المؤمنين لما حدث فى الإسلام، قال: وماحدث فيه؟

قال: النداء بتحليل الزنا. قال: الزنا؟ قال: نعم المتعة زنا.

قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب الله، وحديث رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: **﴿قد أفلح المؤمنون﴾**(١) إلى قوله: **﴿والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾**(٢).

يا أمير المؤمنين، زوجة المتعة ملك يمين؟ قال: لا. قال: فهى الزوجة التى عنى الله ترث وتورث، ويلحق الولد، ولها شرائطها؟ قال: لا.

قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين(٣).

(١)(٢) سورة المؤمنون: ١ ـ ٧. (٣) انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

الوزير فى الحقيقة أجير

كان أبو سعد المعمر بن على، الفقيه الواعظ، ريحانة البغداديين، يعظ الخلفاء والوزراء.

فوعظ «نظام الملك»الوزير بجامع المهدى، فقال:

الحمد لله ولى الإنعام، وصلى الله على مَنْ هو للأنبياء ختام، وعلى آله سرج الظلام، وعلى أصحابه الغرّ الكرام، والسلام على صدر الإسلام، ورَضِى الله عن الإمام.

زينه الله بالتقوى، وختم له بالحسنى، وجمع له بين خير الآخرة والدنيا.

معلوم يا صدر الإسلام، أن آحاد الرعية من الأعيان، مخيرون فى القاصد والوافد: إن شاءوا وصَلَوا، وإن شاءوا فَصَلُوا.

وأما مَنْ توشح بولاية فليس مخيرًا فى القاصد والوافد، لأن مَنْ هو على الخليقة أمير، فهو فى الحقيقة أجير، قد باع زمنه وأخذ ثمنه.

فلم يبق له من نهاره ما يتصرف فيه على اختياره، ولا له أن يصلى نفلاً، ولا يدخل معتكفًا، دون الصدد لتدبيرهم، والنظر فى أمورهم، لأن ذلك فضل، وهذا فرض لازم.

وأنت يا صدر الإسلام، وإن كنت وزير الدولة، فأنت أجير الأمة، استأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة، لتنوب عنه فى الدنيا والآخرة.

فأما فى الدنيا ففى مصالح المسلمين، وأما فى الآخرة فلتجب عنه رب العالمين.

فإنه سيقفه بين يديه، فيقول له: ملكتُكَ البلاد، وقلدتك أزّمة العباد، فما صنعت فى إفاضة البذل، وإقامة العدل؟

فلعله يقول: يارب اخترتُ من دولتي شجاعًا، عاقلاً، حازمًا، فاضلاً، وسميته قوام الدين، ونظام الملك، وها هو قائم في جملة الولاة، وبسطت بيده في الشرط والسيف والقلم، ومكنته في الدينار والدرهم، فاسأله يارب: ماذا صنع في عبادك وبلادك؟

أفتحسن أن تقول في الجواب: نعم، تقلدتُ أمور العباد، وملكتُ أزّمة العباد، وبثثتُ النوال، وأعطيت الإفضال، حتى إذا قربت من لقائك، ودنوتُ من تلقائك، اتخذتُ الأبواب والبواب، والحِجاب والحُجّاب، ليصدوا عني القاصد، ويردوا عني الوافد؟!

فاعمر قبرك كما عمرت قصرك، وانتهز الفرصة ما دام الدهر يقبل أمرك، فلا تعتذر، فما ثمَّ من يقبل عذرك.

وهذا ملك الهند، وهو عابد صنم ذهب سمعه، فدخل عليه أهل مملكته يعزونه في سمعه، فقال: ما حسرتي لذهاب هذه الجارحة من بدني، ولكن تأسفي لصوت المظلوم لا أسمعه فأغيثه، ثم قال: إن كان قد ذهب سمعي فما ذهب بصري، فليؤمر كل ذي ظلامة أن يلبس الأحمر، حتى إذا رأيته عرفته فأنصفته.

وهذا «أنوشروان» قال له رسول ملك الروم: لقد أقدرتَ عدوك عليك بتسهيل الوصول إليك؟! فقال: إنما أجلس هذا المجلس لأكشف ظُلامة، وأقضي حاجةً.

وأنت يا صدر الإسلام أحق بهذه المأثرة، وأولى بهذه وأحرى من أعد جوابًا لتلك المسألة، فإن الله الذي: ﴿**تكاد السموات يتفطرن منه**﴾(١) في موقف ما فيه إلا خاشع، أو خاضع أو مقنع، فينخلع فيه

---

(١) سورة مريم: ٩٠.

القلب، ويحكم فيه الرب، ويعظم فيه الكرب ويشيب فيه الصغير، ويعزل فيه الملك والوزير ﴿يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾(١).

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا﴾(٢).

وقد استجلبت لك الدعاء، وخلدت لك الثناء مع براءتى من التهمة، فليس لى - بحمد الله تعالى - فى أرض الله ضيعة ولا قرية، ولا بينى وبين أحد خصومة، ولابى - بحمد الله تعالى - فقر ولا فاقة.

فلما سمع «نظام الدولة» هذه الموعظة بكى بكاءً شديدًا، وأمر له بمائة دينار، فأبى أن يأخذها، وقال: أنا فى ضيافة أمير المؤمنين، ومن يكن فى ضيافة أمير المؤمنين، يقبح عليه أن يأخذ عطاء غيره.

فقال له: فُضَّها على الفقراء، فقال: الفقراء على بابك أكثر منهم على بابى، ولم يأخذ شيئًا(٣).

(١) سورة الفجر: ٢٣.
(٢) سورة آل عمران: ٣٠
(٣) انظر: طبقات الحنابلة (٣/ ١٠٨، ١٠٩) لابن رجب.

حكمة الملوك

قال أبو بكر بن عياش رحمه الله:

اجتمع أربع ملوك، ملك فارس، وملك الروم، وملك الهند، وملك الصين، فتكلموا بأربع كلمات، كأنما رمى بهن عن قوسٍ واحدة.

فقال أحدهم: أنا على قول مالم أقل أقدر منى على رد ما قلت.

وقال الآخر: إذا قلتها ملكتنى، وإذا لم أقلها ملكتها.

وقال الآخر: لا أندم على ما لم أقل، وقد أندم على ما قلت.

وقال الآخر: عجبتُ لمن يتكلم بالكلمة إن رفعت عليه ضرته، وإن لم ترفع عليه لم تنفعه[١].

(١) انظر الحلية (٨/ ١٧٠). المستطرف (١/ ١٣٠) للإبشيهى.

الابتلاء في الدين وصبر الأجلاء الصالحين

يقول سليمان بن عبد الله السجزى: أتيت باب المعتصم، وإذا الناس قد ازدحموا على بابه كيوم العيد، فدخلت الدار فرأيت بساطًا مبسوطًا وكرسيًا مطروحًا، فوقفت بإزاء الكرسى، فبينما أنا قائم فإذا المعتصم قد أقبل، فجلس على الكرسى، ونزع نعله من رجله، ووضع رجلاً على رجلٍ ثم قال:

يحضر أحمد بن حنبل، فأحضر، فلما وقف بين يديه وسلم، قال له: يا أحمد، تكلم ولا تخف.

فقال أحمد: والله يا أمير المؤمنين، لقد دخلتُ عليك، وما فى قلبى مثقال حبة من الفزع، فقال له المعتصم: ما تقول فى القرآن؟

فقال: كلام الله، قديم غير مخلوق، قال الله عز وجل: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾**(١).

فقال: عندك حجة غير هذا؟ فقال أحمد: نعم، يا أمير المؤمنين، قول الله عز وجل: **﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾**(٢) ولم يقل: الرحمن خلق القرآن.

وقول الله عز وجل: **﴿يسٓ. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾** ولم يقل: يس والقرآن المخلوق.

---

(١) سورة الأنفال: ٩.

(٢) سورة الرحمن: ١.

(٣) سورة يس: ١، ٢.

فقال المعتصم: احبسوه، فحبس وتفرق الناس.

فلما أصبحتُ قصدتُ الباب، فأدخل الناس فدخلت معهم، فأقبل المعتصم، وجلس على كرسيه، فقال: هاتوا أحمد بن حنبل، فجىء به، فلما أن وقف بين يديه، قال له المعتصم:

كيف كنت يا أحمد فى محبسك البارحة؟

فقال: بخيرٍ والحمد لله، إلا أنى رأيتُ يا أمير المؤمنين فى محبسك أمرًا عجيبًا.

قال له: وما رأيت؟

قال: قمتُ فى نصف الليل فتوضأت للصلاة، وصليتُ ركعتين، فقرأتُ فى ركعة: ﴿**الحمد لله**﴾ و﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ وفى الثانية ﴿**الحمد لله**﴾ و﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ ثم جلست، وتشهدت وسلّمت، ثم قمت فكبرت وقرأت ﴿**الحمد لله**﴾ وأردت أن أقرأ ﴿**قل هو الله أحد**﴾ فلم أقدر. ثم اجتهدت فى أن أقرأ غير ذلك من القرآن فلم أقدر فمددت عينى فى زاوية السجن، فإذا القرآن مُسجّىً ميتًا، فغسلته وكفنته، وصليت عليه ودفنته!!

فقال له: ويلك يا أحمد، والقرآن يموت؟!

فقال له أحمد: فأنت كذا تقول إنه مخلوق، وكل مخلوق يموت.

فقال له المعتصم: قهرنا أحمد، قهرنا أحمد.

فقال ابن أبى دؤاد وبشر المريسى: اقتله، حتى نستريح منه، فقال: إنى قد عاهدتُ الله ألا أقتله بسيفٍ، ولا آمر بقتله بسيفٍ.

فقال له ابن أبى دؤاد: اضربه بالسياط، فقال: نعم، ثم قال:

أحضروا الجلادين، فأحضروا، فقال المعتصم لواحدٍ منهم: بكم سوطٍ تقتله؟ فقال: بعشرة يا أمير المؤمنين.

فقال: خذه إليك.

قال: فأخرج أحمد بن حنبل من ثيابه، واتزر بمئزرٍ من صوفٍ، وشُدَّ فى يديه حبلان جديدان، وأخذ السوط فى يده، وقال: أضربه يا أمير المؤمنين؟ فقال المعتصم: اضرب. فضربه سوطًا فقال: الحمد لله، وضربه ثانيًا فقال: ما شاء الله كان، فضربه ثالثًا فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فلما أراد أن يضربه السوط الرابع نظر المعتصم، وقال: خلوه، فتقدم ابن أبى دؤاد وقال له: يا أحمد، قل فى أذنى: إن القرآن مخلوقٌ، حتى أخلصك من يد الخليفة.

فقال له أحمد: يا ابن أبى دؤاد قل فى أذنى: إن القرآن كلام غير مخلوق حتى أخلصك من عذاب الله عز وجل.

فقال المعتصم: أدخلوه الحبس، فحمل إلى الحبس، وانصرف الناس، وانصرفت معهم.

فلما كان الغد أقبل الناس، وأقبلت معهم فوقف بإزاء الكرسى، فخرج المعتصم، وجلس على الكرسى، وقال: هاتوا أحمد بن حنبل، فجىء به.

فلما وقف بين يديه، قال له المعتصم: كيف كنت الليلة فى محبسك يا ابن حنبل؟

قال: كنتُ بخيرٍ والحمد لله.

فقال: يا أحمد، إنى رأيتُ البارحة رؤيا.

قال: وما رأيت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيتُ فى منامى كأن أسدين قد أقبلا إلىَّ، وأرادا أن يفترسانى، وإذا ملكان قد أقبلا ودفعاهما عنى، ودفعا إلىَّ كتابًا، وقالا لى: هذا المكتوب رؤيا رآها أحمد بن حنبل فى محبسه.

فما الذى رأيت يا ابن حنبل؟

فأقبل أحمد على المعتصم فقال له: يا أمير المؤمنين، فالكتاب معك؟ قال: نعم، وقرأته لما أصبحت وفهمت ما فيه.

فقال له أحمد: يا أمير المؤمنين، رأيت كأن القيامة قد قامت، وكأن الله قد جمع الأولين والآخرين فى صعيدٍ واحدٍ، وهو يحاسبهم، فبينما أنا قائم إذ نودى بى، فقدمتُ حتى وقفتُ بين يدى الله عز وجل، فقال لى:

يا أحمد، فيم ضُربت؟ فقلت: من جهة القرآن.

فقال لى: وما القرآن؟ فقلت: كلامك اللهم لك.

فقال لى: من أين قلت هذا؟ فقلت: يارب حدثنى عبد الرزاق، فنودى بعبد الرزاق، فجىء به حتى أُقيم بين يدى الله عز وجل، فقال له: ما تقول فى القرآن، يا عبد الرزاق؟ فقال: كلامك اللهم لك. فقال الله عز وجل:

من أين قلت هذا؟ فقال: حدثنى معمر، فنودى بمعمر فجىء به حتى أوقف بين يدى الله عز وجل، فقال الله عز وجل له:

ما تقول فى القرآن يا معمر؟ فقال معمر: كلامك اللهم. فقال له: من أين قلت هذا؟ فقال معمر: حدثنى الزهرى، فنودى بالزهرى فجىء به، حتى أوقف بين يدى الله عز وجل.

فقال الله عز وجل له: يا زهرى، ما تقول فى القرآن؟

فقال: كلامك اللهم لك. فقال: يا زهرى، من أين لك هذا؟ قال: حدثنى عروة، فجىء به، فقال: ما تقول فى القرآن؟

فقال: كلامك اللهم لك، فقال له: يا عروة، من أين لك هذا؟ فقال: حدثتنى عائشة بنت أبى بكر الصديق، فنوديت عائشة، فجىء بها، فوقفت بين يدى الله عز وجل، فقال الله عز وجل لها: يا عائشة ما تقولين فى القرآن؟ فقالت: كلامك اللهم لك.

فقال الله عز وجل لها: من أين لك هذا؟ قالت: حدثنى نبيك محمد ﷺ.

قال: فنودى بمحمد ﷺ، فجىء به، فوقف بين يدى الله عز وجل، فقال الله عز وجل له: يا محمد، ما تقول فى القرآن؟

فقال له: كلامك اللهم لك. فقال الله له: من أين لك هذا؟ فقال النبى ﷺ: حدثنى به جبريل، فنودى بجبريل، فجىء به، حتى وقف بين يدى الله عز وجل، فقال له:

يا جبريل، ما تقول فى القرآن؟ قال: كلامك اللهم لك. فقال الله تعالى: من أين لك هذا؟ فقال: هكذا حدثنا إسرافيل، فنودى بإسرافيل، فجىء به حتى وقف بين يدى الله عز وجل.

فقال الله سبحانه: يا إسرافيل، ما تقول فى القرآن؟ فقال: كلامك اللهم لك. فقال الله له: ومن أين لك هذا؟ فقال إسرافيل: رأيت ذلك فى اللوح المحفوظ، فجىء باللوح المحفوظ، فوقف بين يدى الله عز وجل. فقال له:

أيها اللوح ما تقول فى القرآن؟ فقال: كلامك اللهم لك. فقال الله له: من أين لك هذا؟ فقال اللوح: كذا جرى القلم علىَّ. فأتى بالقلم، حتى وقف بين يدى الله عز وجل. فقال الله عز وجل: يا قلم ما تقول فى القرآن؟ فقال القلم: كلامك اللهم لك. فقال الله: من أين لك هذا؟ فقال القلم: أنت نطقت وأنا جريت.

فقال الله عز وجل: صدق القلم، صدق اللوح، صدق إسرافيل، صدق جبريل، صدق محمد، صدقت عائشة، صدق عروة، صدق الزهرى، صدق معمر، صدق عبد الرزاق، صدق أحمد بن حنبل: القرآن كلامى غير مخلوق.

قال سليمان السجزى: فوثب عند ذلك المعتصم فقال: صدقت يا أحمد بن حنبل، وتاب المعتصم، وأمر بضرب رقبة بشر المريسى، وابن أبى دؤاد، وأكرم أحمد بن حنبل، وخلع عليه، فامتنع من ذلك، فأمر به فحمل إلى بيته[١].

(١) انر طبقات الحنابلة (١٦٣ ـ ١٦٧) لابن يعلى.

أنطقها الحق وأخرسه الباطل

قال محمد بن زكريا الهاشمي: إنى لواقفٌ على رأس المأمون، وقد جلس للمظالم، فكان آخر من تقدم إليه، وقد همّ بالقيام امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه فقالت:

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمى فى حاجتك، فقالت:

يا خير منتصف يهدى له الرشد ... ويا إمامًا به قد أشرق البلد

تشكو إليك عميد القوم أرملة ... عدا عليها فلم يُترك لها سبد(١)

وابتزمنى ضياعى بعد منعتها ... ظلمًا وفُرّق منى الأهل والولد

فأطرق المأمون حينًا ثم رفع رأسه وهو يقول:

فى دون ما قلت زال الصبر والجلد ... عنى وأقرح منى القلب والكبد

هذا آذان العصر فانصرفى ... وأحضرى الخصم فى اليوم الذى أعد

والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ... ننصفك منه وإلا المجلس الأحد

قال: فلما كان يوم الأحد فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته.

فقال: وعليك السلام، أين الخصم؟

فقالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين، وأومأت إلى العباس

---

(١) سبد: الشعر

ابنه.

فقال: يا أحمد بن أبى خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد بن أبى خالد:

يا أمة الله، إنك بين يدى أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير فاخفضى من صوتك.

فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها، وأخرسه، ثم قضى برد ضيعتها إليها[١].

(١) انظر: العقد الفريد (١/ ٢٩) لابن عبد ربه.

توبة شاب مسرف على نفسه

جاء رجلٌ إلى الزاهد إبراهيم بن أدهمٍ رحمه الله، فقال له:

يا أبا إسحاق إنى مسرفٌ على نفسى، فأعرض علىَّ ما يكون لها زاجرًا، ومستنقذًا لقلبى.

قال: إن قبلت بخمس خصالٍ وقدرت عليها، لم تضرك معصية، ولم توبقك لذة.

قال: هات يا أبا إسحاق.

قال: **أما الأولى**، فإذا أردت أن تعصى الله عز وجل، فلا تأكل رزقه.

قال: فمن أين آكل، وكلُّ ما فى الأرض من رزقه؟

قال له: يا هذا، أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال: لا، **هات الثانية**.

قال: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن شيئًا من بلاده.

قال الرجل: هذه أعظم من الأولى، يا هذا إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له، فأين أسكن؟!

قال: يا هذا، أفيحسن أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده وتعصيه؟!

قال: لا، **هات الثالثة**.

قال: إذا أردت أن تعصيه، وأنت تحت رزقه وفى بلاده، فانظر موضعًا لا يراك فيه مبارزًا له فاعصه فيه.

قال: يا إبراهيم، كيف هذا وهو مطلعٌ على ما في السرائر؟

قال: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه، وهو يراك ويرى ما تجاهر به؟.

قال: لا، **هات الرابعة.**

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحًا، وأعمل لله عملاً صالحًا.

قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا، إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟!.

قال: **هات الخامسة.**

قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذًا؟!

قال له: يا إبراهيم، حسبي حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه، ولزمه في العبادة حتى فرق الموتُ بينهما[1].

(١) انظر: كتاب التوابين (ص/ ٢٩٥، ٢٩٦).

توبة عابد صنم وإسلامه

روى عبد الواحد بن زيد ـ رحمه اللهً ـ فقال:

كنتُ فى مركبٍ، فطرحتنا الريح إلى جزيرة وإذا فيها رجلٌ يعبد صنمًا، فقلنا له: يا رجل، من تعبد؟ فأومأ إلى الصنم، فقلنا: إن معنا فى المركب من يسوّى مثل هذا؟ وليس هذا إلهٌ يُعبد.

قال: فأنتم لمن تعبدون؟ قلنا: الله.

قال: وما الله؟ قلنا: الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى الأحياء والأموات قضاؤه.

فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجّه إلينا هذا المَلِكُ رسولاً كريمًا فأخبر بذلك.

قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: أدى الرسالة، ثم قبضه الله.

قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى، ترك عندنا كتاب الملك. فقال: أرونى كتاب الملك، فينبغى أن تكون كتبُ الملوكِ حِسَانًا.

فأتيناه بالمصحف: فقال: ما أعرف هذا، فقرأنا عليه سورة من القرآن، فلم نزل نقرأ ويبكى حتى ختمنا السورة. فقال: ينبغى لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى، ثم أسلم، وحملناه معنا وعلّمناه شرائع الإسلام، وسورًا من القرآن.

وكنا حين جَنَّنَا الليل، وصلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا، قال لنا: يا قوم، هذا الإله الذى دللتمونى عليه، إذا جنه الليل ينام؟

قلنا: لا، يا عبد الله، هو عظيم قيوم لا ينام. قال: بئس العبيد

أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام؟! فأعجبنا كلامه.

فلما قدمنا «عبَّادان» قلت لأصحابى: هذا قريب عهد بالإسلام، فجمعنا له دراهم وأعطيناه، فقال: ما هذا؟ قلنا: تنفقها. فقال: لا إله إلا الله، دللتمونى على طريق ما سلكتموها، أنا كنت فى جزائر البحر أعبد صنمًا من دونه ولم يضيعنى، يضيعنى وأنا أعرفه؟!!

فلما كان بعد أيامٍ، قيل لى: إنه فى الموت، فأتيته فقلت له: هل من حاجةٍ؟ فقال: قضى حوائجى من جاء بكم إلى جزيرتى.

قال عبد الواحد: فحملتنى عينى، فنمتُ عنده، فرأيت فى مقابر عبادان روضة، وفيها قبة، وفى القبة سريرٌ عليه جارية لم يُر أحسن منها.

فقالت: سألتك بالله إلا ما عجلت به، فقد اشتد شوقى إليه، فانتبهتُ، وإذا به قد فارق الدنيا، فقمت إليه فغسلته وكفّنته وواريته، فلما جن الليل نمتُ، فرأيته فى القبة مع الجارية، وهو يقرأ[1]:

﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[2].

(١) انظر: كتاب التوابين (ص/ ٣١١، ٣١٢).
(٢) سورة الرعد: ٢٣، ٢٤.

فضل طلب العلم

قال أبو إسحاق الحربي رحمه الله:

كان هشيم رجلاً، وكان أبوه صاحب صحنا[1]، يقال له: بشير، فطلب ابنه هشيم الحديث فاشتهاه، وكان أبو يمنعه.

فكتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضي، فكان يناظر أبا شيبة في الفقه، فمرض هشيم، فقال أبو شيبة: ما فعل ذلك الفتى الذي كان يجيء إلينا؟

قالوا: عليل. قال: فقال: قوموا بنا حتى نعوده.

فقام أهل المجلس جميعًا يعودونه حتى جاءوا إلى منزل بشير، فدخلوا إلى هشيم، فجاء رجلٌ إلى بشير، ويده في الصحناة، فقال:

الحق ابنك قد جاء القاضي إليه يعوده، فجاء بشير والقاضي في داره، فلما خرج قال لابنه:

يا بني، قد كنتُ أمنعك من طلب الحديث، فأما اليوم فلا، صار القاضي يجيء إلى بابي، متى أمَّلت أنا هذا؟! قد كنتُ يا بني أمنعك، فأما اليوم فلا بقيتُ أمنعك[2].

(١) **الصحنا والصحناة**: إدام يتخذ من السمك الصغار مصلح للمعدة.
(٢) انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٨٧). سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨٩)

لا يستطاع العلم براحة الجسد

يقول عبد الرحمن بن أبى حاتم رحمه الله:

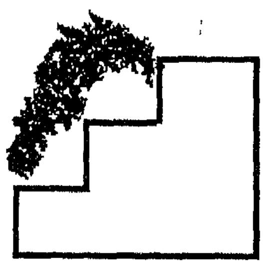
كنا بمصر سبعة أشهر، لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسم لمجالس المشايخ، وبالليل: النسخ والمقابلة.

قال: فأتينا يومًا أنا ورفيق لى شيخًا، فقالوا: هو عليل، فرأينا فى طريقنا سمكةً أعجبتنا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت، حضر وقت مجلسٍ، فلم يمكنا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس.

فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نيئًا، لم يكن لنا فراغٌ أن نعطيه من يشويه.

ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد(١).

يقول ابن جماعة الكنانى: انظر إلى تقسيم الأوقات فى الأيام القديمة درسًا، ونسخًا، ومذاكرة، وعزة الوقت تعليمًا وتعلمًا، ومباحثة مع ترك الأشغال اليومية.



(١) انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٣٠) للذهبى السير (١٣/ ٢٦٦) للذهبى.
تذكرة السامع (ص/ ٧٣) لابن جماعة.

قصة القمرى والشافعى

روى الربيع بن سليمان رحمه الله فقال:

كان الشافعى جالسًا يومًا بين يدى مالك بن أنس، فجاء رجلٌ إلى مالك فقال:

يا أبا عبد الله، إنى رجلٌ أبيع القمرى(١)، وإنى بعتُ يومًا هذا قُمْريًّا، فلما كان العشية أتانى صاحب القمرى فقال: إن قمريك لا يصيح، فتشاجرت أنا وهو إلى أن حلفتُ بالطلاق أن قمرى ما يهدأ من الصياح.

فقال مالكٌ: طلقت امرأتك، ولا سبيل لك عليها، فانصرف الرجل مغمومًا، فقام إليه الشافعى ـ وهو يومئذ ابن أربع عشرة سنة ـ فقال: أعد مسألتك ـ رحمك الله ـ فأعاد عليه.

فقال: أيما أكثر: صياح قمريك أو سكوته؟قال: فقال: صياحه.

فقال: امض فلا شىء عليك، ورجع الشافعى إلى الحلقة، ورجع الرجل إلى مالك، لصيته فى البلاد، وكبر اسمه فقال: يا أبا عبد الله، انظر لى فى مسألتى يكن لك فيها أجزل الثواب، فقال: ما أعرف لمسألتك جوابًا غير ما أخبرتك.

قال: فإن فى حلقتك من أفتانى بأن لا شىء عليك. قال: مَنْ المفتى لك، رحمه الله؟ قال: هذا الغلام، وأومأ إلى الشافعى، فزبره مالك وأخجله، وقال: يا غلام، بلغنى عنك غير فتواى، فمن أين لك هذا؟

---

(١) القمرى: طائر يشبه الحمام.

قال: لأنى سألته: أيهما أكثر: صياح قمريك أم سكوته؟ فأخبرنى بصياحه.

فقال مالك: وهذا أعظم؟! أى شيءٍ فى سكوته وصياحه مما يكون مخرجاً للفتوى؟

قال: لأنك حدثتنى عن عبد الله بن يزيد عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس:

أنها أتت النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أبا جهم ومعاوية خطبانى، فأيهما أتزوج، فقال النبى ﷺ: **«أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فرجلٌ لا يضع عصاه عن عاتقه»**[1].

وقد علم النبى ﷺ أن أبا جهم يأكل وينام ويستريح، فقال لها«لا يضع سوطه» على المجاز، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته.

فلما أن سألته: أيما أكثر: صياح قمريك أو سكوته؟ فأخبرنى بصياحه، فقسته على قول النبى ﷺ: «لا يضع سوطه» وعلمت أن النبى ﷺ، خاطب العرب على قدر عقولهم، وجعلوا أكثر الفعلين كمداومته.

قال: فتعجب مالك بن أنس من قوله: ولم يقدح فيه بشىء، فضرب مسلم بن خالد الزنجى بين كتفى الشافعى، وقال:

أفتِ فقد والله آن لك أن تفتى[2].

(١) حديثٌ صحيحٌ. أخرجه الشافعى (ص/ ٣٠٩، ٣١٠)، ومالك (٥٨١) فى الموطأ، ومسلم (١٤٨٠)، والترمذى (١١٣٤)، والنسائى (٦/ ٢٠٨)، وأحمد (٦/ ٤١٢، ٤١٣).

(٢) انظر: مناقب الشافعى (٢/ ٢٣٨) للبيهقى.

أداء الأمانة بين يدى المهدى

قام صالح بن عبد الجليل(١) ـ رحمه الله ـ بين يدى المهدى(٢) فقال:

إنه لَمَّا سَهُلَ علينا ماتوعَّرَ(٣) على غيرنا من الوصول إليك، قُمْنَا مَقَامَ الأداء عنهم، وعن رسول الله ﷺ بإظهار مافى أعناقنا من فَريضة الأمر، والنهى عند انقطاع عُذر الكتْمانِ، ولاسيما حين اتّسَمتَ بِمِيْسَمِ(٤) التواضعِ، ووعدتُ اللهَ وحملة كتابه إيثارَ الحقِ على ماسواه، فجمعنا وإياك مَشْهدٌ من مشاهدِ التمحيص ليتم مُؤَدِّيْنا على موعود الأداء، وقابِلُنا على موعود القبول، أو يزيدنا تَمحِيصُ الله إيانا فى اختلاف السرِّ والعلانية، ويُحَلِّينا حِليةَ الكذَّابين، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون:

«مَنْ حَجَبَ اللهُ عنه العلمَ عذبه على الجهلِ، وأشَدُّ منه عذابًا من

(١) أحد العُبَّاد الزهاد، عاش فى بغداد، له أقوالٌ فى الزهد والرقائق، وروى عن سلمة بن دينار، وابن عيينة، وعنه إسحاق بن موسى، ومحمد البرجلانى، توفى سنة ٢٨٠هـ. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣١٢) وتحرف فيه إلى صالح بن عبد الكريم، الحلية (٨/ ٣١٧)، الجرح والتعديل (٤/ ٤٠٨)، طبقات الأولياء (ص/ ٢٤٥) .

(٢) هو الخليفة العباسى، أبو عبد الله محمد بن المنصور، الملقب بالمهدى، كان جواداً ، قائمًا على الأخذ على الزنادقة، محببًا إلى الرعية، غارقًا كنحوه من الملوك فى بحر اللذات، ولكنه معادٍ لأهل الضلالة والزيغ، مات سنة ١٦٩هـ . انظر: تاريخ الطبرى (٣/ ١٧٢) ، (٦/ ١٨٣)، مروج الذهب (٢/ ٢٤٦)، تاريخ بغداد (٥/ ٣٩١)، البداية والنهاية (١٠/ ١٢٩)، تاريخ الخلفاء (ص/ ٤٣٤)، شذرات الذهب (١/ ٢٣٠، ٢٤٥) .

(٣) وعر: صعب .

(٤) الميسم : اسم للآلة التى يُوسم بها .

أقبل إليه العلمُ وأدبر عنه، ومن أهدى اللهُ إليه عِلمًا فلم يعمل به فَقَدْ رغبَ عن هديةِ اللهِ، وقصر بها» .

فاقبل ما أهدَى اللهُ إليك من ألسنتنا قبولَ تحقيقٍ وعملٍ، لاقبولَ سُمعةٍ ورياءٍ، فإنه لايعدمك منا إعلامٌ لما تجهلُ أو مواطأةٌ على ماتعلم، أو تذكيرٌ من غفلةٍ، فقد وطَّنَ اللهُ عز وجل نبيه عليه السلام على نزولها تعزيةً عما فات، وتحصينًا من التمادى، ودلالة على المخرج، فقال الله تعالى:

﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾[١] فاطلع الله على قلبك بما يُنوّرُه من إيثار الحقِّ، ومنابذة الأهواء[٢]، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٣] .

(١) سورة الأعراف : ٢٠٠.

(٢) الأهواء : البدع، والآراء المخترعة فى الدين .

(٣) انظر عيون الأخبار (٢/ ٣٥٩) لابن قتيبة، والعقد الفريد (٢/ ٢٥١) لابن عبد ربه .

يا أمير المؤمنين الدنيا سوق

أتى مُزاحم[١] مولى عمر بن عبد العزيز مولاه فقال: إنَّ محمد بن كعب القرظى بالباب، فقال: أدخله، فدخل ولم يمسح عينيه من الدموعِ، فقال محمد: ما أبكاك يا أمير المؤمنين؟

فقال هشام بن مصاد[٢] أبكاه كذا وكذا، فقال محمد بن كعب: ياأمير المؤمنين ، إنما الدُّنْيَا سوقٌ من الأسواقِ، منها خرج النَّاسُ بما نفعهم، ومنها خرجوا بما ضرهم، فكم من قومٍ قد غرهم منها مثل الَّذِى أصبحنا فيه حتى أتاهم الموتُ فاستوعبهم، فخرجوا منها ملومين[٣] لم يأخذوا لما أحبوا من الآخرة عدة، ولا لما كرهوا جنة[٤]، واقتسم ماجمعوا من لايحمدهم، وصاروا إلى من لايعذرهم، فنحن محقوقون ياأمير المؤمنين أن ننظر إلى تلك الأعمالِ التى نغطبهم بها فنخلفهم فيها، وننظر إلى تلك الأعمال التى نتخوف عليهم منها فنكف عنها، فاتق الله ياأمير المؤمنين، واجعل قلبك فى اثنتين، أُنظر الذى تحب أن يكون معك إذا

(١) من حجاب عمر ومواليه المشهورين، وهو مزاحم بن أبى مزاحم المكى، أخرج له أبو داود، والترمذى، والنسائى، انظر: الجرح والتعديل (٨/ ١٤٥)، التهذيب (١٠/ ١٠١)، التقريب (٢/ ٢٤٠) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) فى رواية: مرملين أى : مهرولين .

(٤) الجُنَّةُ : السترة، وكل ماوقى من سلاح .

قدمتَ على ربك فابتغ به البدل حيث يوجد البدل، ولاتذهبن إلى سلعةٍ قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك .

فاتق الله ياأمير المؤمنين، فافتح الأبواب، وسهل الحجاب، وانصر المظلوم، ورد المظالم.

ثلاثٌ مَنْ كُن فيه استكمل الإيمان بالله: مَنْ إذا رضى لم يدخله رضاه فى باطلٍ، وإذا غضب لم يخرجه غضبُه من الحقِ؛ وإذا قدر لم يتناول ماليس له(١) .

(٥) انظر الحلية : (٥/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، عيون الأخبار (٢/ ٣٧٠) .

خراب الآخرة وعمران الدنيا

قال أبو حازم رحمه الله :

بعث سليمان بن عبد الملك إلى فجئته فقال: ياأبا حازم، مالنا نكره الموت؟ قال: لانكم أخربتم آخرتكُم وعمرتُم دُنْيَاكم، فأنتم تكرهونَ أن تنتقلوا من العمرانِ إلى الخراب .

قال : صدقتَ، فكيف القدوم على اللهِ عز وجل؟

قال: أما المحسنُ فكالغائبِ يقدم على أهلهِ، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه .

فبكى سليمان وقال: ليت شِعرى مالنا عند الله ياأبا حازم؟

قال: اعْرض نفسكَ على كتاب الله عز وجل، فإنك تعلم مالك عند الله . قال: ياأبا حازم وأنّى أُصيبُ ذلك؟

قال: عند قوله تعالى: **﴿إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم﴾**(١) فقال سليمان : فأين رحمةُ اللهِ ؟

قال: **﴿قريب من المحسنين﴾**(٢) .

قال: فما تقول فيما نحن فيه ؟

قال: أعفنى من هذا .

---

(١) سورة الانفطار : ١٤ .

(٢) سورة الأعراف : ٥٦ .

قال سليمان: نصيحةٌ تُلقيها .

قال أبو حازم: إن أُناسًا أخذوا هذا الأمر عنوةً من غير مشاورةٍ من المسلمين، ولا اجتماع من رأيهم فسفكوا فيه الدماءَ على طلب الدُّنْيَا، ثم ارتحلوا عنها فليت شِعرى ماقالوا، وما قيل لهم؟!

فقال بعض جلسائه: بئس ماقلتَ ياشيخ .

قال أبو حازم: كذبت، إن الله تعالى أخذ على العلماءِ لَيُبيِّنُنَّه للناس ولايكتمونه .

قال سليمان: اصْحَبْنا يا أبا حازم تُصِبْ منَّا ونُصِبْ منك؟

قال: أعوذُ باللهِ من ذلك .

قال: ولم ؟

قال: أخاف أن أركن إليكم شيئًا قليلاً فيذيقنى ضِعْفَ الحياةِ وضعف الممات.

قال: فأشر على ؟

قال: اتق اللهَ أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك .

قال: يا أبا حازم، ادْعُ لنا بخير .

قال: اللهم إن كان سليمان وليك فيسّره للخيرِ، وإن كان عدوك فخذ إلى الخير بناصيته .

قال: ياأبا حازم، كيف لنا أن نصلح؟

قال: تدعون عنكم الصلف[١] ، وتمسكوا بالمروءة، وتقسموا بالسوية، وتعدلوا فى القضية .

قال: ياأبا حازم، وكيف المأخذُ من ذلك؟

قال: تأخذه بحقه، وتضعه بحقه فى أهله .

قال: ياأبا حازم، مَنْ أفضلُ الخلائق ؟

قال: أُولو المروءة والنهى .

قال: فما أعدل العدل؟

قال: كلمةُ صدقٍ عند مَنْ ترجُوه وتخافُه .

قال: فما أسرع الدعاء إجابة؟

قال: دُعاءُ المُحسنِ للمحسنين .

قال: فما أفضل الصدقة ؟

قال: جهدُ المقل إلى يد البائس الفقير، لايتبعها مَنٌّ ولا أذى .

قال: يا أبا حازم، من أكيس الناس ؟

قال: رجلٌ ظفر بطاعةِ اللهِ تعالى فعمل بها، ثم دل النَّاسَ عليها .

قال: فمن أحمق الخلق ؟

قال: رجل اغتاظ فى هوى أخيه، وهو ظالم له فباع آخرته بدنياه .

---

(١) الصلف : الكبرياء والغرور .

قال: يا أبا حازم، ارفع حاجتك إلى؟

قال: نعم، تدخلنى الجنة، وتخرجنى من النار .

قال: ليس ذاك إلى .

قال: فما لى حاجة سواها .

فقال: ياغلام، هات مائة دينار، ثم قال: خذها يا أبا حازم .

فقال: لا حاجة لى فيها، إنى أخاف أن يكون لما سمعتَ من كلامى[١]

١) الدارمى (١/ ١٥٥) فى سننه، والحلية (٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، وصفة الصفوة (٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩)، والعقد الفريد (٢/ ٢٥٣) ، والإحياء (٢/ ١٤٥) .

رجل من أهل الآخرة في قصر المنصور

بينما المنصور يطوفُ ليلاً إذ سمع قائلاً يقول:

اللهمَّ إنى أشكو إليكَ ظهورَ البغى والفسادِ فى الأرضِ؛ وما يحولُ بين الحقِّ وأهله من الطمع .

فخرج المنصورُ فجلس ناحية من المسجد، وأرسل إلى الرجل يدعوه، فصلى الرجلُ ركعتين واستلمَ الركن، وأقبل مع الرسول فسلّم عليه بالخلافة، فقال المنصور:

ما الذى سمعتُكَ تذكرُ من ظهور البغى والفساد فى الأرض، ومايحول بين الحق وأهله من الطمع؟

فوالله لقد حَشَوْتَ مَسَامِعى ما أرمَضَنى؟!

قال: يا أمير المؤمنين، إن أمَّنتَنى على نفسى أنبأتُك بالأمورِ من أُصولها، وإلا احتجزْتُ منك، واقتصرْتُ على نفسى، ففيها لى شاغل .

فقال: أنت آمنٌ على نفسك، فقل، فقال: إن الذى دخله الطمعُ حتى حال بينه وبين ماظهر من البغى والفساد لأنتَ .

قال: ويحك، وكيف يدخلُنى الطمعُ؛ والصفراءُ والبيضاءُ فى قبضتى، والحلو والحامض عندى؟

قال: وهل دخل أحدٌ من الطمع مادخلكَ؟

إن الله تبارك وتعالى استرعاك المسلمينَ وأموالهم فأغفلتَ أمورهم، واهتممتَ بجمع أموالهم، وجعلتَ بينك وبينهم حجابًا من الجصّ والآجُرِّ، وأبواباً من الحديد، وحَجَبَةً معهم السلاحُ، ثم سجنْتَ نفسَكَ فيها عنهم، وبعثْتَ عُمَّالَكَ فى جباية الأموال وجمعها، وقوَّيْتَهم بالرجال، والسلاح، والكُراع، وأمرتَ بألا يدخُلَ عليك من الناس إلا فلانٌ، وفلانٌ نفر سميتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم، ولا الملهوف، ولا الجائع العارى، ولا الضعيف الفقير، ولا أحدٌ إلا وله فى هذا المال حقٌّ، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصْتَهم لنفسك، وآثرْتَهم على رعيّتكَ، وأمرْتَ ألا يُحجَبُوا عنك، تَجْبى الأموال وتجمعُها ولا تقسمها قالوا: هذا قد خان الله فما بالنا لانخونه، وقد سجن لنا نفسه؟!

فأتمروا بألا يصل إليك من علم أخبار الناس شىءٌ إلا ما أرادوا، ولايخرج لك عاملٌ فيخالف أمرَهُم إلا قصبوه عندك، ونَفَوْه حتى تسقط منزلته، ويَصْغُرَ قدرُه، فلما انتشر ذلكَ عنكَ وعنهم، أعظَمهُم الناسُ وهابوهم، فكان أولَ من صانَعهم عُمّالُكَ بالهدايا والأموال لِيَقْوَوْا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة، والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم، فامتلأتْ بلادُ الله بالطمع بغيًا وفسادًا، وصار هؤلاء القوم شُركائك فى سلطانك، وأنت غافل، فإن جاء مُتظلّم حِيْلَ بينه وبين دخول مدينتك، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك قد

نَهَيْتَ عن ذلك، وأوقفْتَ للناس رجلاً ينظرُ فى مظالمهم، فَإِنْ جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتَكَ خبره سألوا صاحبَ المظالمِ ألا يرفع مَظْلمَتَه إليكَ، فَإِنَّ المتظلِّم منه له بهم حُرمةٌ، فأجابهم خوفًا منه، فلا يزال المظلومُ يختلف إليه، ويلوذ به، ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتلّ عليه، فإذا أُجهِدَ وأُحرِجَ وظَهرتَ، صَرَخَ بين يديك، فضرب ضَرْبًا مُبرحًا، ليكون نكالاً لغيره، وأنت تنظرُ فلا تُنكِر، فما بقاءُ الإسلام على هذا؟! .

وقد كنتُ ياأمير المؤمنين، أسافر إلى الصِّين فقَدِمْتُها مَرَّةً، وقد أُصيْبَ مَلِكُها بسمعه، فبكى يومًا بكاء شديدًا فحثه جلساؤه على الصبر، فقال:

أما إنى لست أبكى للبليَّة النازلة بى، ولكنى أبكى لمظلوم بالباب يصرُخُ، ولا أسمعُ صوتَه، ثم قال:

أما إذ ذهب سمعى، فَإِنَّ بصرى لم يذهب، نادُوا فى الناس ألا يلبَسَ ثوبًا أحمرَ إلا متظلّمٌ، ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره، وينظر هل يرى مظلومًا .

فهذا يا أمير المؤمنين، مُشركٌ بالله غلبت رأفتُه بالمشركين شُحَّ نفسه، وأنت مؤمنٌ بالله، ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتُكَ بالمسلمين على شحّ نفسك ، فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبرًا فى الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مالٌ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزالُ الله يلطُفُ بذلك الطفل حتى تعظُمَ رغبةُ

النَّاسِ إليه، ولست بالذى تُعطى ، بل الله يعطى من يشاء مايشاء .

وإن قُلْتَ: إنما أجمعُ المال لتشديد السلطان فقد أراك الله عبرًا فى بنى أمية ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وأعدّوا من الرجال والسلاح والكُرَاع حتى أراد الله بكم ماأراد .

وإن قلت: إنما أجمعُ المال لطلب غايةٍ هى أجسمُ من الغاية التى أنا فيها، فوالله مافوق ماأنت فيه إلا منزلةٌ لا تُدركُ إلا بخلاف ماأنتَ عليه يا أمير المؤمنين، هل تُعاقبُ من عصاك بأشدّ من القتل ؟

قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملك الذى خوّلك مُلْكَ الدنيا، وهو لايعاقب من عصاه بالقتل؟ ولكن الخلود فى العذاب الأليم، قد رأى ماقد عُقِدَ عليه قلبك وعَمِلته جوارحك، ونظر إليه بصرُك، واجترحَتْه يداكَ، ومشت إليه رجلاك، هل يُغْنى عنك ماشَحَحْتَ عليه من مُلك الدنيا إذا انتزعهُ من يدك، ودعاكَ إلى الحساب ؟

فبكى المنصور، وقال: ياليتنى لم أُخْلَقْ، ويحك، فكيف أحتال لنفسى؟

قال: ياأمير المؤمنين، إن للناس أعلامًا يفزعون إليهم فى دينهم ويرضون بهم، فاجعلهم بطانَتكَ يُرشدُوكَ، وشاورْهم فى أمر يُسَدِّدوك .

قال: قد بعثت إليهم فهربوا منى!!

قال: خافوا أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابكَ، وسهل حجابَك، وانصُرِ المظلومَ، واقمعِ الظالمَ، وخذِ الفيء، والصدقاتِ مما حلَّ وطابَ، واقسمه بالحق والعدل في أهله، وأنا الضامنُ عنهم أن يأتوكَ ويُسْعِدوك على صلاح الأمة .

وجاء المؤذنون فسلموا عليه فصلى، وعاد إلى مجلسه، وطُلِبَ الرجلُ فلم يوجد[1] .

انظر : عيون الأخبار (٢/ ٣٦٠ ٣٦٢) .

رجل حرب للآخرة سلم للدنيا

قام أعرابى فوقف أمام سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى، فقال له:

إنى مُكَلِّمُكَ ياأمير المؤمنين، بكلام فيه بعض الغِلظة، فاحتَمِلْهُ إِنْ كرهْتَهُ، فإن وراءه ماتُحبّه إِنْ قبلْتَهُ .

قال: هاتِ ياأعرابىّ .

قال: فإنى سأُطلقُ لسانى بما خرست عنه الألسُنُ من عِظَتكَ تأديةً لحقِّ اللهِ، وَحقِّ إمامتك .

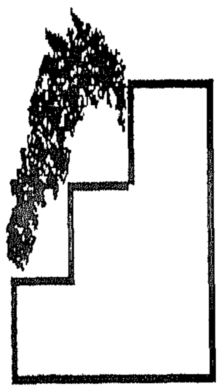
إنه قد اكتنفَكَ رجال أساءوا الاختيارَ لأنفسهم، فابتاعوا دنياكَ بدينهم، ورِضَاكَ بسخط ربهم، خافوكَ فى اللهِ، ولم يخافوا اللهَ فيكَ، فهم حَرْبٌ للآخرة، سِلْمٌ للدنيا، فلا تأمَنْهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنّهم لن يألوا الأمانة تضييعًا، والأمة عسفًا وخسفًا، وأنت مسؤول عما اجترحوا، وليسوا مسؤولين عما اجترحت، فلا تُصْلِحْ دنياهم بفساد آخرتكَ، فإن أعظمَ النَّاس غَبْنًا مَنْ بَاعَ آخرتَهُ بدُنْيَا غيره(١) .

(١) انظر : عيون الأخبار (٢/ ٣٦٤) .

أقصر موعظة إلى كل حاكم

عن أبي حازم[١] ـ رحمه الله ـ قال: قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: عظني يا أبا حازم .

قال: قلت: اضطجع[٢]، ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ماتحب أن تكون فيه تلك الساعة فخذ فيه الآن، وماتكره أن يكون فيك الساعة فدعه الآن[٣] .



(١) هو سلمة بن دينار، الإمام الثقة، الواعظ، شيخ المدينة في زمانه، وأحد الزهاد المعروفين، حديثه في الكتب الستة، مات سنة ١٤٤هـ . انظر: الجرح والتعديل (٤/ ١٥٩)، الحلية (٣/ ٢٢٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٣٣)، السير (٦/ ٩٦)، التهذيب (٤/ ١٤٣) ، صفة الصفوة (٢/ ١٥٦) .

(٢) ارقد .

(٣) انظر: الحلية (٥/ ٣١٧) .

رسالة مفتوحة إلى كل راعى

عن الحسن، أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز :

اعلم أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس مايغنى وإن كان كثيراً يعدل مايبقى وإن كان طلبه عزيزاً .

فاحذر هذه الدار الخادعة التى قد تزينت بخدعها، وغرت بغرورها، وقتلت أهلها بأملها، وتشوفت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلوة، العيون إليها ناظرة، والنفوس لها عاشقة، والقلوب إليها والهة، وهى لأزواجها قاتلة، فلا الباقى بالماضى معتبر، ولا الآخر بما رأى من الأول مزدجر، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع، فأبت القلوب لها إلا حبًا، وأبت النفوس بها إلا ضنًا، وما هذا منا لها إلا عشقًا، ومن عشق شيئًا لم يعقل غيره، ومات فى طلبه أو يظفر به، فهما عاشقان، طالبان لها، فعاشق قد ظفر بها واغتر وطغى ونسى بها المبدأ والمعاد .

فشغل بها لبه، وذهل فيها عقله، حتى زلت عنها قدمه، وجاءته منيته، فعظمت ندامته، واشتدت كربته مع ما عالج من سكرته، فاجتمعت عليه سكرات الموت بألمه، وحسرة الموت بغصته، غير موصوف مانزل به .

وآخر مات قبل أن يظفر منها بحاجته فذهب بكربه وغمه لم يدرك منها ماطلب، ولم يرح نفسه من التعب والنصب، خرجا جميعًا بغير

زاد، وقدما على غير مهاد .

فاحذرها الحذر كله فإنها مثل الحية لين مسها وسمها يقتل، فاعرض عما يعجبك فيها لقلة مايصحبك منها، وضع عنك همومها لما عانيت من فجائعها، وأيقنت به من فراقها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور له أشخصته عنها بمكروه، وكلما ظفر بشيءٍ منها وثنى رجلاً انقلبت به .

فاحذرها فإن أمانيها كاذبة، وآمالها باطلة، عيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطر، إما نعمة زائلة، وإما بلية نازلة، وإما مصيبة موجعة، وإما منية قاضية، فلقد كلت عليه المعيشة إن عقل، وهو من النعماء على خطر، ومن البلوى على حذر، ومن المنايا على اليقين، فلو كان الخالق تعالى لم يخبر عنها بخبر، ولم يضرب لها مثلا، ولم يأمر فيها بزهد، لكانت الدار قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله تعالى عنها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عند الله عز وجل قدر، ولا لها عند الله تعالى وزن من الصغر، ولاتزن عند الله تعالى مقدار حصاة من الحصى، ولا نظر إليها منذ خلقها مقتًا لها .

ولقد عرضت على نبينا ﷺ بمفاتيحها، وخزائنها ولم ينقصه ذلك عنده جناح بعوضة فأبى أن يقبلها، وما منعه من القبول لها، ولا ينقصه عند الله تعالى شيء إلا أنه علم أن الله تعالى أبغض شيئًا فأبغضه، وصغر شيئًا فصغره، ووضع شيئًا فوضعه، ولو قبلها كان الدليل على حبه إياها قبولها ، ولكنه كره أن يحب ما أبغض خالقه، وأن يرفع ماوضع مليكه .

وقد يدلك على شر هذه الدار أن الله تعالى زواها عن أنبيائه وأحبائه

اختبارًا، وبسطها لغيرهم اعتبارًا واغترارًا، ويظن المغرور بها، والمفتون عليها أنه إنما أكرمه بها .

يبغضون ما أبغض الله عز وجل، ويصغرون ماصغر الله تعالى، ويزهدون فيما فيه زهد، ثم اقتص الصالحون بعد منهاجهم، وأخذوا بآثارهم، وصبروا فى مدة الأجل القصير، عن متاع الغرور الذى إلى الفناء يصير، ونظروا إلى آخر الدنيا ولم ينظروا إلى أولها، ونظروا إلى عاقبة مرارتها، ولم ينظروا إلى عاجلة حلاوتها، ثم ألزموا أنفسهم الصبر، أنزلوها من أنفسهم بمنزلة الميتة التي لايحل الشبع منها إلا فى حال الضرورة إليها، فأكلوا منها بقدر مايرد النفس، ويقى الروح .

والله لو كانت الدنيا من أراد منها شيئا وجده إلى جنبه من غير طلب، ولانصب غير أنه إذا أخذ منها شيئا لزمته حقوق الله فيه، وسأله عنه، ووقفه على حسابه، لكان ينبغى للعاقل أن لايأخذ منها إلا قدر قوته ومايكفى، حذر السؤال، وكراهية لشدة الحساب، وإنما الدنيا إذا فكرت فيها ثلاثة أيام، يوم مضى لاترجوه، ويوم أنت فيه ينبغى لك أن تغتنمه، ويوم يأتى لاتدرى أنت من أهله أم لا ؟! ولاتدرى لعلك تموت قبله .

فأما أمس فحكيم مؤدب، وأما اليوم فصديق مودع، غير أن أمس وإن كان قد فجعك بنفسه، فقد أبقى فى يديك حكمته، وإن كنت قد أضعته فقد جاءك خلف منه، وقد كان عنك طويل الغيبة، وهو الآن عنك سريع الرحلة، وغدًا أيضًا فى يديك منه أمله، فخذ الثقة بالعمل، واترك الغرور بالأمل قبل حلول الأجل، وإياك أن تدخل على اليوم هم غد أو

هم مابعده زدت فى حزنك وتعبك، وأردت أن تجمع فى يومك ما يكفيك أيامك، هيهات كثر الشغل، وزاد الحزن، وعظم التعب، وأضاع العبد العمل بالأمل

ولو أن الأمل فى غدك خرج من قلبك أحسنت اليوم فى عملك، واقتصرت لهم يومك ، غير أن الأمل منك فى الغد دعاك إلى التفريط، ودعاك إلى المزيد فى الطلب .

ولئن شئت لأصفن لك الدنيا ساعة بين ساعتين، ساعة ماضية، وساعة آتية، وساعة أنت فيها .

فأما الماضية والباقية فليس تجد لراحتهما لذة، ولا لبلائهما ألما .

وإنما الدنيا ساعة أنت فيها فخدعتك تلك الساعة عن الجنة وصيرتك إلى النار، وإنما اليوم إن عقلت ضيف نزل بك، وهو مرتحل عنك، فإن أحسنت ضيافته، شهد لك، وأثنى عليك بذلك، وصدق فيك، وإن أسأت ضيافته ولم تحسن جال فى عينيك، وهما يومان بمنزلة الأخوين نزل بك أحدهما فأسأت إليه ولم تحسن ضيافته فيما بينك وبينه، فجاءك الآخر بعده فقال: إنى قد جئتك بعد أخى، فإن إحسانك إلى يمحو إساءتك إليه، ويغفر لك ماصنعت فدونك إذ نزلت بك وجئتك بعد أخى المرتحل عنك، فلقد ظفرت بخلف منه إن عقلت ، فدارك ماقد أضعت .

وإن ألحقت الآخر بالأول فما أخلقك أن تهلك بشهادتهما عليك .

إن الذى بقى من العمر لاثمن له، ولاعدل، فلو جمعت الدنيا كلها

ماعدلت يوما بقى من عمر صاحبه، فلا تبع اليوم، ولاتعدله من الدنيا بغير ثمنه.

فانتقد اليوم لنفسك، وأبصر الساعة، وأعظم الكلمة، واحذر الحسرة عند نزول السكرة.

نفعنا الله وإياك بالموعظة، ورزقنا وإياك خير العواقب.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته(١).

(١) انظر: الحلية (٢/ ١٣٤ ـ ١٤٠).

اذكر آخر يوم فى حياتك

قال عمرو بن عبيد للمنصور :

إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشترِ نفسَك ببعضها، واذكر ليلةً تَمَخَّضُ عن يومٍ لا ليلةَ بعده .

فوجَمَ المنصورُ من قوله، فقال له الربيعُ : ياعمرو، غَمَمْتَ أمير المؤمنين

فقال عمرو: إن هذا صَحِبَكَ عشرين سنة لم يَرَ لك عليه أن يَنْصحَكَ يَوْمًا واحدًا، وما عَمِلَ وراءَ بابك بشيءٍ من كتاب اللهِ، ولا سنّة نبيه .

قال أبو جعفر المنصور: فما أصنعُ ؟! قد قلت لك خاتمى فى يدك فتعال وأصحابك فاكفِنى .

قال عمرو: ادعنا بعدلك تَسْخُ أنفسُنَا بعونك، ببابك ألف مَظلمةٍ ارددْ منها شَيْئًا نَعْلَمْ أنك صادقٌ[١] .

(١) انظر: عيون الأخبار (٢/ ٣٦٤) .

اقرأ فى هذا العدد

الفهرس العام

مطابع غباشى - بطنطا ت: ٣٣٤٨٩٨

مع تحيات دار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر والتحقيق والتوزيع

ت: ٣٣١٥٨٧ ص. ب: ٤٧٧

شارع المديرية ــ امام محطة بنزين التعاون